مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 04 (2020) - ص 310- 320

قراءة في مقدّمة معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي في ضوء علم اللّغة الحديث

Reading at the introduction of in dictionary of Khalil ben Ahmed Al-farahidi in the light of modern linguistics

خليل سارة [1] بوشيبة عبد القادر [2]
Sarahchikola.92@gmail.com [1] Bouchiba_aek@yahoo.com [2]
مخبر المعالجة الآلية للّغة العربيّة
المركز الجامعي بمغنيّة- تلمسان/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/25 تاريخ القبول: 2020/10/07 تاريخ النشر: 2020/12/10

ملخص البحث

ترمي هذه الورقة إلى قراءة في مقدّمة معجم العين للخليل بن أحمد وتناولت مسألتين لغويتين احتوتهما هذه المقدّمة أفادتا علم اللّغة الحديث، وتتمثل هاتان المسألتان في قضيّة نشأة اللّغة التّي لا تزال تشغل العلماء وكيف نظر إليها الخليل بحسّه، ثمّ مسألة المستويات اللّغوية والفرق بين ما جاء به الخليل وما ينظر إليه العلم الحديث، وأسفرت هذه الدّراسة عن نتائج أهمّها أنّ مقدّمة العين هي ذات أهميّة كبرى في الدرس اللّغوي العربي، وفيها بواكير معلومات وقضايا لغويّة، كما تعدّ أوّل مادّة استقى منها العلم الحديث موادّه.

الكلمات المفتاحية: مقدّمة العين، علم اللّغة الحديث، نشأة اللّغة، المستويات اللّغوية.

ABSTRACT:

This paper aims at reading of Al-Ain's dictionary to Al-Khalil and dealt with two language issues that were in this introduction. Which informed the modern linguistic.These two issues are the issue of the emergence oft he language that is still preoccupied with secularists and how khalil has been wiewed with sence. And the question oft he linguistic levels and the difference between the city of khalil and what the modern science is looking at.The first material from which is modern science has drawn is materials

Keywords :introduction to al-ain, modern linguistics, origin of language, linguistics levels, linguistics sounds.

[1] المؤلف المرسل : خليل سارة

1. مقدمة:

توسّعت الدّراسات اللّغوية في القرن الثّاني الهجري خدمةً للقرآن الكريم، فبعد اختلاط العرب بغيرهم من الشّعوب ظهر اللّحن والتّصحيف في تلاوة القرآن الكريم، ونتيجةً لذلك تطوّرت الدّراسات اللّغوية وظهر علماء أجلّاء، وضعوا أسس مهمّة ساهمت في بناء الدّرس الصّوتي والمعجمي الحديث.

وأوّل هؤلاء العلماء الخليل الذّي شغل نفسه بعلوم العربيّة، إلى أن ألّف معجمًا سمّاه العين، وهو معجم ينمّ عن براعة وعبقريّة فذّة، ابتدع فيه نظام التّقاليب والأبنية. كما احتوى على مقدّمة فريدة من نوعها لا تزال الدّراسات الحديثة تستقي منها شتّى معطياتها. فقد شحذت هذه الأخيرة الأذهان في علمها الواسع، كما ولّدت معاجم كثيرة. ونظرًا لما تؤدّيه المقدّمة من دورٍ بارزٍ في الكتب والمعاجم ارتأيت أن أعالج مسألتين في مقدّمة كتاب العين وهما قضيّتا نشأة اللّغة والمستويات اللّغوية؛ ثمّ ربطهما بنتائج العلم الحديث. واعتمدت في ذلك على المنهج الوصفي المعتمد على التّحليل. فما هي الموضوعات التّي احتوتها مقدّمة معجم العين؟ وكيف ساهمت هذه الأخيرة في وضع أسس علم اللّغة الحديث؟

2. قضيّة نشأة اللّغة في مقدّمة العين:

اهتمّ العلماء منذ القدم بقضيّة نشأة اللّغة وكانت لهم آراء متباينة، ولعلّ أوّل من تطرّق لهذه القضيّة هو الخليل في مقدّمة معجمه "العين".

فقد بدأ تحديد الصّلة بين اللّفظ ومدلوله من نبعٍ صغير، كشفته ملاحظات الخليل، ثمّ صار ذلك النّبع معينًا ضخمًا استمدّ منه المتأخّرون طاقة هائلة من التّحليل؛ ولعلّ أوّل ما جذب انتباه الخليل في مقدّمة كتابه تلك الأصوات المتكرّرة التّي تعبّر عن مسموعات؛ فقد رأى في بعض الحروف أصواتًا محاكية للطّبيعة. فتكرّر الحرف دلالة على تكرّر الفعل قال في هذا الصّدد: "صَرَّ الجندب صريرًا، وصرصَرَ الأخطب صرصرةً، فكأنّهم توهّمُوا في صوت الجندب مدًّا، وصرصر الأخطب صرصرةً، فكأنّهم توهّمُوا في صوت الجندب مدًّا وتوهّموا في صوت الأخطب ترجيعًا"[1]. والأقوال في هذا الاتّجاه تستهدف إثبات نوعٍ من الصّلة الطّبيعية بين أجراس الحروف ودلالتها، وبين أنغام الألفاظ ومعانيها الكلّية، وفي ذلك النّظر تبدو الحروف والصّيغ مترابطة مع الدّلالة، وكأنّ هناك نتيجة ضروريّة للإيحاء من تتابع الحروف أو بناء الكلمات[2]. فمحاكاة الأصوات للطّبيعة كما يتّضح هي ضربٌ من ضروب الاشتقاق، يُلجأ إليه للدّلالة على محاكاةٍ صوتيّة فيها تكريرٌ وترجيع، فالحكاية ليست هي نقلًا ساذجًا لأصوات الأشياء أو محاكاة طبيعيّة لها إنّما هي شيء من أبنية اللّغة لها خصائص صوتيّة وصرفيّة ودلاليّة[3].

ويعدّ القرآن الكريم المدوّنة الأساسية لمثل هذا الطّرح؛ فبعض ألفاظ القرآن الكريم تثبت صلة بين الصّوت والدّلالة ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[4]: لفظة

صرصر هنا تدلّ على الرّياح القويّة الشّديدة التّي يكون لها صوت[5]، وهي بصيغة فعلل، وفيها تكرار لصوت الصّاد والرّاء، وفي الصّاد صفير، وللرّاء في مخرجها تكرارٌ، وكأنّ اللّفظة توحي بقوّة الرّيح وضراوتها.

ومن ذلك أيضًا صوت الشّين وهو صوت رخو مهموس، عند النّطق به يندفع الهواء من الرّئتين مارًّا بالحنجرة، فلا يحرّك الوترين الصّوتيين[6]، وهو للتّفشّي، وهذا الصّوت يصوّر الحدث واتّساع مداره، جاء في قوله تعالى ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[7]؛ فكأنّ صوت الشّين في لفظ "مشّاء" يصوّر لنا انتشار النّميمة، بل وزيادة التّفشي بتضعيف حرف الشّين، ومدّ هذا الصّوت بحركة الفتح الطّويلة[8].

ومن هنا شبّ خلافٌ حول قضيّة نشأة اللّغة لم يتمّ حسمه إلى الآن، حيث قام على اختلافات نظريّة يمكن تحديدها في ثلاثة آراءٍ[9]:

-الرّأي الأوّل: يرى أصحابه أنّ اللّفظ اكتسب دلالته بالطّبع، وهؤلاء هم التّوقيفيّون.

-الرّأي الثّاني: يرى أصحابه أنّ اللّفظ اكتسب دلالته بالمواضعة، فالمواضعة والاصطلاح هما أساس اكتساب اللّفظ دلالته.

-الرّأي الثّالث: يرى أصحابه أنّ اللّفظ اكتسب دلالته بالطّبع، ولكن ليس بالطّبع الموجب كما يرى التّوقيفيّون.

وبما أنّ الصّوت في اللّغة هو مادّة اللّفظ ومركزه الأساس، وهو الذّي يعطيه هذا المركّب الذّي يظهر في شكل كلمات، وقد عرّف ابن جنّي اللّغة بأنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، ومن هنا يظهر أنّ الصّوت هو عماد اللّفظ، وهو الرّكيزة الأساس، والقاعدة الأولى لتكوين صرح اللّغة.

فالإنسان عندما سمع أصوات الطّبيعة أخرج أصواتًا تحاكي ما سمعه؛ فأطلق خرير على المياه ومواء على صوت القطط...ولعلّ أوّل من تحدّث عن هذه العلاقة بين الصّوت وما أُطلق عليه هو الخليل بن أحمد في مقدّمته، ثمّ راح العلماء بعده يناقشون هذه القضيّة بين مؤيّد ورافض، وفيما يلي عرض لآرائهم:

1.2 آراء القدماء:

ناقش قضيّة ارتباط الأصوات بالدّلالة بعد الخليل الكثير من العلماء ممّن جاءوا بعده: من أمثال سيبويه وابن جنّي. وكان قدوتهم للخوض في هذه المجال هو الخليل.

-جاء سيبويه في كتابه بنوع جديد من الدّلالات وهو دلالة الأوزان؛ حيث عقد بابًا تحدّث فيه عمّا جاء على مثالٍ واحد حين تقاربت المعاني[10]

-يعدّ ابن جنّي إمامًا للقائلين بوجود صلة بين الصّوت ومدلوله، فقد أسهب في الحديث عن هذه القضيّة بل وعقد عدّة أبوابٍ لها في كتابه الخصائص ومن هذه الأبواب نذكر: باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، باب الاشتقاق الأكبر، باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني[11].

2.2 آراء المحدثين:

أمّا بالنّسبة للمحدثين فنجد الكثير من العلماء ممّن تطرّق لموضوع دلالة الصّوت بمعناه، ولا يسعنا المقام لعرض آرائهم، نذكر منهم:

-صبحي الصّالح: جاء بعض الأساتذة ليكمّلوا قضيّة الصّوت والمعنى، ويعتبر صبحي الصّالح في مقدّمة هؤلاء حيث عرض فصلًا لمناسبة حروف العربيّة لمعانيها، واستعرض في ثناياها جهود اللّغويّين الأوائل. قال "أمّا الذّي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربيّة لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربيّ من القيمة التّعبيريّة الموحية...فكلّ حرف منها يستقلّ ببيان معنى خاصّ مادام ينتقل بإحداث صوتٍ معيّن، وكلّ حرف له ظلّ وإشعاع إذ لكلّ حرف صدى وإيقاع"[12]

-إبراهيم أنيس: وعلى نقيض الاتّجاه الأوّل يعقّب إبراهيم أنيس بعد عرضه لمجموعة من النّظريات من قبل العلماء على أصل نشأة اللّغة، والقائلين بالاتّفاق بين الأصوات ومدلولاتها بأنّها لم تحلّ مشكلة نشأة اللّغة، ولم تفسّرها تفسيرًا يطمئنّ إليه، ووجّه لها جملة من الاعتراضات:[13]

1-الألفاظ التّي تبدو لنا الآن وقد ارتبطت أصواتها بمدلولاتها لا تجاوز نسبة ضئيلة في كلمات كلّ لغة.

2-أهملت هذه النّظريّات الرّبط بين اللّغة والمجتمع، ممّا لا يستطيع اللّغوي الحديث أن يتصوّره.

3-لو أنّ الإنسان نطق بأصوات لغته لاحتاج إلى مِرانٍ طويل، ولهذا لا يعقل أنّ عضلات النّطق تنطق من صمتها فتنطق بأصواتٍ كأصوات كلماتنا، وإنّما المعقول أنّها كانت تنطق نوعًا من النّطق، حتّى تكتمل أعضاء النّطق ونموّها، حينئذٍ يقال أنّ اللّغات الإنسانيّة قد نشأت.

يكاد رأي إبراهيم أنيس في هذه المسألة يكون متباينًا؛ ففي الموطن السّابق اعترف اعترافًا صريحًا بعدم وجود علاقة بين الصّوت ومدلوله، بل وأنكرها إنكارًا تامًّا، وعاد وأثبتها في موطنٍ آخر، يقول: "ونحن حين نتّخذ طريقًا معتدلًا بين هؤلاء وهؤلاء ندرك كلّ الإدراك أنّ في اللّغة معاني تتطلّب أصواتًا خاصّة، وأنّ هناك من المدلولات ما تسارع اللّغة للتّعبير عنه بألفاظ معيّنة، وربّما كان من العسير حصر تلك المجالات اللّغوية التّي نلحظ فيها وثوق الصّلة بين الأصوات والمدلولات"[14].

وقف إبراهيم أنيس موقفا وسطا؛ فهو لا ينكر تمامًا وجود صلة بين الصّوت ومعناه، ولا يقرّ بوجودها، ففي حين إقراره بوجود صلة بينهما أتى بنوعٍ جديد، وهي التّي تعبّر عن الحالة النّفسية. وفي

رأينا أنّ معظم كلمات العربيّة ذات دلالة معيّنة؛ فلو أنّ واحدًا منّا أراد أن يعبّر عن حزنه أو يأسه لاستخدم أصواتًا مهموسة كالسّين والتّاء، وشعرائنا أفضل مثال في هذا المقام فها هو البحتري يعبّر عن نفسيّته الحزينة في سينيّته فيستخدم أصواتا توحي بما يختلجه.

وتبدو هذه الظّاهرة جليّة في ألفاظ القرآن الكريم، ففي كثير من المواطن التّي تستدعي تخويف المشركين استعمل الله ألفاظًا تربك البدن وتُحدث شيئا ما في القلب، قال الله تعالى:﴿قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[15]؛ فلفظ "ضِيزَى" على وزن فُعلى بضمّ الفاء من ضازه حقّه إذا نقصه[16].

ولو حلّلنا اللّفظ من النّاحية الصّوتية وربطناه بالدّلالة فنجد أنّها تحمل كلًّا من الضّاد والزّاي المجهورتين، فالله تعالى لم يستعمل لفظة أخرى مثل غير عادلة أو جائرة، بل استعمل ضيزى للدّلالة على عدم عدل هؤلاء الذّين يعبدون غير الله.

ونجد ممّن ناقش قضيّة دلالة الصّوت ومعناه علماء غربيّين نذكر منهم:

-جسبرسن: فهو يسوق لنا أمثلة لتلك النّواحي التّي نلحظ فيها وثوق الصّلة بين الألفاظ والدّلالات منها:[17]

*الألفاظ التّي تعبّر عن الصّوت الطّبيعي قد تنتقل وتصبح معبّرة عن مصدر هذا الصّوت. مثل الصّفع التّي بدأت صدى لوقع اليد على الوجه، فهي حكاية صوت لتلك الحركة، ثمّ أصبحت تعبّر عن تلك الحركة.

*قد ترتبط الألفاظ بالدّلالات في بعض الحالات النّفسية التّي تعبّر عن الغضب أو الكره.

وهكذا استقى المتأخّرون قضيّة نشأة اللّغة المعتمدة على محاكاة أصوات الطّبيعة من الخليل بن أحمد حتّى أنّهم راحوا يفسّرون بعض ألفاظ القرآن الكريم بهذه المحاكاة بين الأصوات والمسموعات.

بل وذهبوا أبعد من ذلك فقد استنتج المتأخّرون من خلال دراستهم للصّوت أنّه يحمل دلالة معيّنة سواء كان مفردا أو مركّبًا، وفيما يلي عرض لآرائهم:

الصّوت	دلالته	مثال
الهمزة	الجوفيّة، وعلى ما هو وعاء للمعنى[18]	أكرم، أفلحَ
الباء	بلوغ المعنى في الشّيء بلوغًا تامًّا، وتدلّ على الانبثاق والظّهور[19]	بزوغ
الثّاء	تدلّ على الانتشار والتّفريق[20]	بثّ الخبر وبثق النّهر: أي جعل ماءه ينفجر على ما نحوه.

الحاء	الظّهور والامتداد والتّفريق[21]	باح بالسّر
الخاء	الضّعف والهبوط[22]	خض، خاف، خشع
الدّال	اللّين والنّعومة[23]	دمعت العين: سال دمعها، دمث: لانت أخلاقه
الزّاي	التّقلّع القويّ[24]	قال الله تعالى﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[25]
السّين	السّعة والبسط[26]، ويدلّ على اللّيونة والسّهولة والنّقص[27]	سامح، ساهم
الغين	الخفاء، أو الاستتار والغيبة [28]	غاب، غرب، غطّى
الكاف	التّمكّن في الشّيء[29]	كبت، كتم
القاف	المفاجأة التّي تحدث صوتًا[30]، وتتضمّن أيضًا معنى الاصطدام أو الانفصال، وتقترن بحدوث صوت شديد[31].	قطع، قرع
الميم	الانقطاع والاستئصال[32]	الحسم، العزم

وهكذا استنتج بعض الدّارسين -كما رأينا-بأنّ بعض الأصوات تؤدّي معنى معيّن، فعند دراستهم للقيمة التّعبيرية للصّوت المفرد خصّوا كلّ صوت بدلالة معيّنة، فاستطاعوا بحسّهم المرهف أن يعرفوا دلالة الصّوت من خلال صفاته وكانت استنباطاتهم من آراء العلماء الأوائل وأوّلهم الخليل. ومن هنا عُدّت هذه المسألة ضاربة في رأي من آراء نشأة اللّغة الذّي يعتقد بأنّ هذه الأخيرة نشأت من محاكاة الإنسان أصوات الطّبيعة بواسطة جهازه الصّوتي، والخليل هو السّباق لهذه المسألة.

3. المستويات اللّغوية:

المقصود بالمستويات اللّغوية في الدّرس اللّغوي الحديث المراتب التّي تنتمي إليها الألفاظ، ومن أهمّ هذه المستويات:

1.3 المستويات اللّغوية في علم اللّغة الحديث:

1.1.3 المستوى الفصيح:

حرص علماء اللّغة العربيّة عند وضع معجمهم على تنقية الفصيح من كلام العرب، والفصيح كما أورده السّيوطي في المزهر "فصح الرّجل: أي جادت لغته، وأفصح تكلّم بالعربيّة"[33]، أمّا الفصاحة فهي "البيان وسلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التّأليف"[34]. ويستخلص محمّد رشاد

الحمزاوي من هذه التّعريفات معانٍ للفصاحة: الخلوص، الصّحة، الوضوح، الجودة، انعدام اللّحن، البيان، السّلامة من الإبهام وسوء التّأليف[35]. فالفصيح بدويٌّ سليمٌ من المعرّبات والدّخيلات واللّهجات، لا يأتيه التّلوث من قبله ولا من بعده[36]؛ فقد اقتصرت العرب على الأخذ بالفصيح من بعض القبائل العربيّة التّي لم تختلط بالأعاجم، بل وحدّدت الإطار الزّماني بنهاية القرن الثّاني الهجري للحواضر، ونهاية القرن الرّابع هجري بالنّسبة للبوادي. وهذا التّحديد الزّماني والمكاني هو بمثابة الحِصن الذّي يحمي المستوى الفصيح.

2.1.3 المستوى المولّد:

تعامل اللّغويّون الأوائل مع المستوى المولّد على أنه غير عربيّ فذهب الجوهري في صحاحه إلى القول: "عربيّة مولّدة ورجلٌ مولّد، إذا كان عربيًّا غير محض، أي أنّه ولد بين العرب وليس منهم"[37]، وعدّوه "كلّ ما أُحدث في العربيّة من الوحدات المعجميّة بعد عصر الاحتجاج اللّغوي"[38]. ومن العلماء من حاول أن يضع حدودًا زمانيّة للمولّد ومنهم الدّكتور عبد الصّبور شاهين، الذّي يرى أنّ فترة المولّد تنتهي عام 1805م، وبذلك تكون فترة هذا المستوى حوالي تسعة قرون[39].

3.1.3 المستوى المحدث:

جاء في لسان العرب "المولّد: المحدث من كلّ شيء وسُمّي المولّد من الكلام مولّدًا إذا استحدثوه"[40]، وقد عرّفه الدّكتور حلمي خليل بأنّه "كلّ كلمة عربيّة الأصل استخدمها المتكلّمون بالعربيّة الحديثة بدلالةٍ جديدة لم يعرفها المتكلّمون بالعربيّة قبل العصر الحديث أو بالاشتقاق من جذرٍ عربيّ ومعنى هذا أنّ الهاتف والسّيارة...والسّجادة وغيرها كثير من المحدث"[41]. وقد نصّت لجنة المعجم الوسيط على أنّ المحدث هو "اللّفظ الذّي استعمله المحدثون في العصر الحديث وشاع في لغة الحياة العامّة"[42]. ومن خلال التّعريفات للمولّد والمحدث قد نخلص إلى عدم وجود فرقٍ كبيرٍ بينهما، وربّما ذلك راجعٌ إلى صعوبة معرفة الوقت الذّي ظهرت فيه الكلمة المولّدة أو المحدثة[43].

4.1.3 المستوى الدّخيل:

عرّف المعجم الوسيط الدّخيل بأنّه "اللّفظ الأجنبي الذّي دخل العربيّة دون تغيير مثل الأكسجين والتّلفون"[44]. قد عرّف حلمي خليل الدّخيل بأنّه "تلك الكلمات الأجنبيّة التّي اقترضتها اللّغة العربيّة من اللّغات الأخرى، وبقيت على صورتها الأجنبيّة أو مع تغيير طفيفٍ في بعض أصواتها سواء تمّ ذلك قبل عصر الاحتجاج أو اليوم مثل سجنجل فرند وتليفزيون وهدرجين وغيرها"[45].

2.3. المستويات اللّغوية في مقدّمة العين:

أراد الخليل من خلال معجمه حصر اللّغة العربيّة فدبّر ونظر فرأى أنّ جميع الكلمات تنحصر في 29 حرفًا، ورأى أنّ الحروف والأسماء والأفعال تكون بين الثّنائي والثّلاثي والرّباعي

والخماسي، ثمّ ابتكر نظام التّقاليب فكلّ كلمة ينتج عنها عدد معيّن من الكلمات. ويمكن أن نمثّل له رياضيًا على النّحو التّالي:

ن1=ن×ن-1.....1

2=1×2=(1-2)×1=12

6=1×2×3=(2-3)×(1-3)×3=13

24=2×3×4=(3-4)×(2-4)×(1-4)×4=14

120=1×2×2×4×5=(4-5)×(3-5)×(2-5)×(1-5)×5=15

720=1×2×3×4×5×6=(5-6)×(4-6)×(3-6)×(2-6)×(1-6)×6=16[46].

فكلّ كلمة وتقاليبها سواء في الثّنائي، الثّلاثي، الرّباعي، أو الخماسي تعطي تقاليب مختلفة تكوّن مستعملًا ومهملًا، فالمهمل هو ما عُبّر عنه بالموجود بالقوّة أمّا المستعمل فهو الموجود بالفعل[47].

وقد شبّه الخليل الألفاظ اللّغوية بأنغام الآلة الموسيقيّة معبّرًا عن ذلك "أمّا الآلة التّي تصدر الأصوات اللّغوية فهي ما بين الحنجرة إلى الشّفتين من جسم الإنسان"[48]. واعتمد في ترتيبه للكلمات على أساس صوتيّ فقسّم الحروف إلى تسعة أحياز: حلقيّة، لهويّة، شجريّة، أسليّة، نِطعيّة، لِثويّة، ذلقيّة، شفويّة، هوائيّة[49]. فمعيار الكشف عن الصّوت عنده هو جريان النّفس أو توقّفه.

أمّا بالنّسبة للمستويات اللّغوية التّي ذُكرت في مقدّمة العين فهي ثلاثة: الفصيح، المولّد والدّخيل.

وإذا تحدّثنا عن المستوى الفصيح في كتاب العين فوجب النّظر في المصادر التّي اعتمدها الخليل لبناء معجمه وهي خمسة مصادر: الرّواية عن الأعراب، الشّعر، القرآن الكريم، الحديث النّبوي الشّريف، المأثور من كلام العرب[50].

فكلّ هذه المصادر تؤكّد على أنّ الخليل أراد أن يجمع اللّغة من أفواه الفصحاء الذّين لم يختلطوا بالعجم؛ فالمستوى الفصيح في كتاب العين لا ضراوة فيه وجلّ المعاجم التّي أتت بعد الخليل أخذت مادّتها اللّغوية منه.

عند حديث الخليل عن المخارج جعل لحروف الذّلاقة خاصّية مميّزة؛ حيث إنّها تتّصف بالوضوح والسّهولة في النّطق يقول: "اعلم أنّ حروف الذّلق والشّفويّة ستّة وهي: ر ل ن ف ب م وإنّما سُمّيت هذه الحروف ذلقًا لأنّ الذّلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللّسان والشّفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف السّتة"[51]. والفرق بين أحرف الذّلاقة والشّفوية هو أنّ الأولى تخرج من ذلق اللّسان، والثّانية بين الشّفتين.

وحروف الذّلاقة عند الخليل سهلة في نطقها لذلك تكثر في كلام العرب، فليس شيءٌ في بناء الخماسي التّام يعرّى منها أو من بعضها.

فقد أقام الخليل معيارًا للكشف عن أصل الكلمة الرّباعية والخماسيّة وبيّن الأصيل منها من المولّد أو المحدث وهو معيارٌ صوتيّ: فالأبنية الرّباعية والخماسيّة المعرّاة من واحد من حروف الذّلاقة السّتة يعتبر محدثًا أو مبتدعًا وليست من كلام العرب، ولا يوجد كلمة رباعيّة أو خماسيّة خالية من حرف أو اثنين من حروف الذّلاقة.

وحتّى وإن كانت الكلمة من أوزان العرب ولم تحتوي على حروف الذّلاقة فهي محدثة مبتدعة مثل الكشعثج، الكشعطج[52]. أمّا الرّباعي فهو لا يعرّى من حروف الذّلاقة أو بعضها إلا ما ندر.

ثمّ راح يمثّل لحرفي العين والقاف؛ فلا يدخلان في بناءٍ إلّا حسّنتاه لأنّهما أطلق الحروف وأضخمهما جرسًا. أمّا إذا كان البناء اسمًا لزمته السّين أو الدّال مع لزوم العين أو القاف، ذلك أنّ الدّال لانت عن صلابة الطّاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التّاء فحسنت، وصارت حال السّين بين مخرجي الصّاد والزّاي كذلك[53].

وهناك استثناء عامّ، وهو المضاعف الرّباعي، مثل دقدقة وصرصرة يستحسنه العربيّ فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصّحيح والمعتلّ ومن الذّلق والشّفويّة والصّتم، بل يتسامح فيه في غير ذلك، فالضّاد والكاف لا تجتمعان في بناء عربيّ إلّا إذا قدّمت الضّاد وفصل بينها وبين الكاف، مثل الضّحك والضّنك، ولكنّهما تأتيان في المضاعف دون فاصل مثل الضكضاكة، فالمضاعف جائز فيه كلّ غث وسمين من الفصول والأعجاز[54].

فالخليل هو أوّل من اعتمد على المستويات اللّغوية في معجمه ومهّد لها في مقدّمته واعتمد على أساس للتّمييز بين الفصيح وغيره من المستويات اللّغوية، وخاصّة في الرّباعي والخماسي. فبينما ذهبت الدّراسات الحديثة إلى أنّ المولّد والدّخيل هو اللّفظ الذّي أدخل إلى العربيّة بعد عصور الاحتجاج اللّغوي، أو الذّي دخل ولم يتغيّر شكله، أقام الخليل معيار التّمييز بين الفصيح والمولّد أو الدّخيل على أساس ذوقه فالكلمات الثّلاثية هي كلمات فصيحة أمّا الرّباعي أو الخماسي الخالي من حروف الذّلاقة فهو محدثٌ مبتدع وليس من أصل عربيّ.

5. خاتمة:

- تعدّ مقدّمة معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ثريّة بموضوعاتها ولايزال علم اللّغة الحديث يستثمر معلوماتها في مختلف علومه وتخصّصاته. ومن هذه المسائل قضيّة نشأة اللّغة؛ التّي رأى فيها الخليل أنّ لبعض الحروف أصواتًا محاكية للطّبيعة فاختلفت آراء العلماء من بعده؛ فهناك من أقرّ بوجود علاقة بين الصّوت أو اللّفظ ومعناه وآخرون أقرّوا باعتباطيّة العلاقة بينهما. ومهما يكن فإنّ الظّاهرة موجودة لا يسعنا إلّا الاعتراف بها.

-ذهب العلماء إلى أنّ الأصوات تؤدّي دلالة معيّنة سواء كان الصّوت مفردا أو مركّبًا. واستثمروا ذلك في تفسير وفهم بعض آيات القرآن الكريم.

-يعدّ الخليل أوّل من تحدّث عن المستويات اللّغوية ووضع لها معيارًا للتّمييز بينها خاصّة في الرّباعي والخماسي وهو أساس صوتيّ اعتمد فيه على حروف الذّلاقة فكلّ كلمة رباعيّة أو خماسيّة خالية أو معرّاة -كما وصفها-من حروف الذّلاقة فهي محدثة مبتدعة فالخليل كان ذوّاقًا للحروف لذلك اعتمد هذا الأساس.

-اختلفت المستويات اللّغوية في المعاجم الحديثة: من فصيح مولّد، محدث، عامّي...وبعض المستويات اختلفت فيما بعضها كالمولّد والمحدث.

-لا تقتصر المستويات اللّغوية على الفصيح والعاميّ، والمحدث والدّخيل بل تتعدّاها إلى المجالات التّي تتجلّى في مفرداتها التّي تستخدمها كلّ طبقة اجتماعيّة أو في طريقة النّطق بها فتكوّن: المستوى العادي، أو الرّفيع المتأنّق أو العاميّ، أو النّابي...وهو مجال واسع يستطيع الباحث أن يخوض في غماره.

6. الهوامش:

[1] أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السّمرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، المقدّمة، ص56.

[2] ينظر: مصطفى مندور، اللّغة بين العقل والمغامرة، منشأة المعارف، الاسكندريّة، ص53-54.

[3] ينظر: أحمد محمّد قدّور، 1998، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدّمة العين، دار الفكر، دمشق، ص59-60.

[4] سورة القمر، الآية 19.

[5] محمّد الطّاهر ابن عاشور، 1984، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، 192/72.

[6] ينظر: إبراهيم أنيس، دت، الأصوات اللّغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر، ص69.

[7] سورة القلم، الآية: 11.

[8] ينظر: دفّة بلقاسم، جوان، 2009، نماذج من الإعجاز الصّوتي في القرآن الكريم –دراسة دلاليّة-، مجلّة كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، العدد الخامس، ص10.

[9] ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدّلالة الصّوتية في اللّغة العربيّة، المكتب العربي الحديث، الاسكندريّة، ص39.

[10] للتّوسّع ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، 14/1.

[11] ينظر: ابن جنّي، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1/من ص474 إلى ص501.

صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، ص142. [12]

[13] ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص26-27.

[14] للتّوسّع ينظر: إبراهيم أنيس، 1978، من أسرار اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ص145-148.

[15] سورة النّجم، الآية:22.

[16] ابن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ص106-107.

[17] ينظر: إبراهيم أنيس، 1984، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصريّة، ص68-70.

[18] أسعد أحمد علي، 1981، تهذيب المقدّمة اللّغوية، دار السّؤال للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، ص63.

[19] حسن عبّاس، 1998، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، -دراسة-، منشورات اتّحاد كتاب العرب، ص101.

[20] المرجع نفسه، ص17.

[21] المرجع نفسه، ص17.

[22] صالح سليم عبد القادر، الدّلالة الصّوتية، ص149.

[23] المرجع نفسه، ص149.

[24] تهذيب المقدّمة اللّغوية، 1981، أسعد أحمد علي، دار السّؤال للطّباعة والنّشر، دمشق، ص63.

[25] سورة مريم، الآية 83

[26] أسعد أحمد علي، تهذيب المقدّمة اللّغوية، ص63.

[27] صالح سليم عبد القادر، لدّلالة الصّوتية، ص150.

[28] محمّد لمبارك، 2004، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص104.

[29] صالح سليم عبد القادر، الدّلالة الصّوتية، ص151.

[30] العلايلي، تهذيب المقدّمة اللّغوية، ص64.

[31] محمّد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، ص104.

[32] صالح سليم عبد القادر، الدّلالة الصّوتية، ص151.

[33] جلال الدّين السّيوطي، تفسير الجلالين، المزهر، دار إحياء التّراث العربي، بيروت/لبنان، 184/1.

[34] مجمع اللّغة العربية، 2004، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، مادّة (ف ص ح)

[35] ينظر: محمّد رشاد الحمزاوي، 1982، العربيّة والحداثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان، تونس، ص13.

[36] ينظر: محمّد رشاد الحمزاوي، 2003، المعجم العربي المعاصر في نظر المعجميّة الحديثة، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، المجلّد 78، الجزء 4، ص1027.

[37] إسماعيل بن حمّاد الجوهري، 1984، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، مادّة (و ل د).

[38] فضيلة دقناتي وعبد النّاصر مشري، سنة2019، المستويات اللّغوية في المعجم العربي الحديث؛ ملاحظات حول "معجم اللّغة العربيّة المعاصرة"، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، تمنراست، مجلّد8، عدد 5، ص267.

[39] ينظر: عبد الصّبور شاهين، 1986، العربيّة لغة العلوم والتّقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ص351.

[40] ابن منظر، لسان العرب، مادّة (و ل د).

[41] حلمي خليل، 1990، المعرّب والدّخيل في المعجم اللّغوي التّاريخي، مجلّة المعجميّة، تونس، العدد 5-6، ص321-322.

[42] مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مقدّمة الطّبعة الأولى، ص31.

[43] ينظر: محمّد الأنطاكي، 1969، الوجيز في فقه اللّغة، دار الشّروق، بيروت، ص447.

[44] مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، مقدّمة الطّبعة الأولى، ص31.

[45] حلمي خليل، المعرّب والدّخيل في المعجم اللّغوي التّاريخي، ص323.

[46] محمّد رشاد الحمزاوي، 1986، من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص171.

[47] ينظر: المرجع نفسه، ص171.

[48] حسين نصّار، 1988، المعجم العربي نشأته وتطوّره، دار مصر للطّباعة، مصر، 220/1.

[49] ينظر: الخليل بن أحمد، العين، المقدّمة، ص58

[50] ينظر: إبراهيم بن مراد، قضيّة المصادر في جمع مادّة المعجم، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، العدد78، جزء1، ص789-194.

[51] الخليل بن أحمد، العين، المقدّمة، ص51.

[52] ينظر: المرجع نفسه، ص52.

[53] ينظر: المرجع نفسه، ص53-54.

[54] حسين نصّار، المعجم العربي، ص189.